بسم الله الرحمن الرحيم

إعلم أنه ﷺ لم يذكره القرآن فى أى موضع إلا ومدحه وعظمه ووقره بل وأمرنا جميعا بذلك، كقوله تعالى إِنَّا أرسلْناك شاهِدا ومبشرا ونذِيرا • لِتؤمِنوا بِاللهِ ورسولِهِ وتعزروه وتوقروه الفتح ٨، ٩: يعنى الرسول ﷺ، الطبرى والقرطبى وابن كثير والبحر المحيط والرازى والجلالين ومعظم المفسرين. وقال: فَالذِين آمنوا بِهِ وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذِى أنزِلَ معه أولَئِك هم الْمفْلِحونَ الأعراف ١٥٧، وقد علمنا الله تعالى الأدب مع سيدنا محمد ﷺ حين خاطب جميع النبيين بأسمائهم، أما هو فلم يخاطبه باسمه مجردا بل قال له: يا أيها الرسولُ ، يا أيها النبِي وأمرنا بالأدب معه وتوقيره، وقال أيضا: إِن الذِين يبايِعونك إِنما يبايِعونَ اللهَ يد اللهِ فَوق أيدِيهِم الفتح ١٠، وقال أيضا: من يطِع الرسولَ فَقَد أطَاع اللهَ النساء ٨٠. وقال سبحانه: لا تجعلُوا دعاءَ الرسول بينكُم كَدعاءِ بعضِكُم بعضا النور ٦٣، قال قتادة: (أمر الله عز وجل أنْ يهاب نبيه ﷺ وأنْ يبجلَ وأنْ يعظم وأنْ يسود) أخرجه ابن أبى حاتم وغيره فى التفسير.

ويقول الله تبارك وتعالى لا أُقْسِم بِهذَا الْبلَدِ • وأنت حِل بِهذَا الْبلَدِ • ووالِدٍ وما ولَد البلد ١-٣؛ (لا) هنا نافية والمعنى لا أقسم بالبلد الحرام ولا البيت الحرام ولا المشعر الحرام ما دمت أنت موجودا فى البلد الحرام، بل المقصود بالقسم أنت، ووالد وما ولد يعنى أبانا آدم والأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وكل أولادهم.

وهذا قسم الله تعالى به ﷺ وتفضيله على كل من سواه وما سواه، ومن العجب العجيب أن الحرمين الشريفين ما شرفا إلا بالنبى ﷺ، بينما أن البعض يظنون أن المسجد الحرام أفضل من النبى ﷺ فى الحديث الشريف: {لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى}، مع أن المسجد الحرام والمسجد النبوى لم يفضلا إلا به ﷺ ومن أجله، والمسجد الثالث المذكور فى الحديث وهو المسجد الأقصى لم يفضل الا لأجل الأنبياء، وعليه فهم يفهمون هذا الحديث معكوسا، ولا يعقلها إلا العالمون، وقد قيل (إنما الظرف تابع المظروف)، فإنما شدت الرحال إلى هذه المساجد لأجله ﷺ إذ الأماكن والأزمان تشرف وتفضل بأهلها فشد الرحال للمسجد الحرام لأن مكة مولده، وشد الرحال للمسجد النبوى لأن المدينة مهاجره، وشد الرحال للمسجد الأقصى لأنه مسراه ﷺ، فتح البارى ٦٥/٣ ، مجمع الزوائد للحافظ الهيثمى ٢/٤، ٣ ، فيض القدير ١٤٠/٦.

وأما كلمة الأمى؛ فيجب أن تعلم أن كلمات اللغة العربية لها أكثر من معنى ولذلك فعندما وردت هذه الكلمة فى القرآن من قوله تعالى: الذِين يتبِعونَ الرسولَ النبِى الأمى الذِى يجِدونه مكْتوبا عِندهم فِى التورلةِ والإِنجِيلِ يأمرهم بِالْمعروفِ وينهاهم عن الْمنكَرِ ويحِل لَهم الطيباتِ ويحرم علَيهِم الْخبآئِثَ ويضع عنهم إِصرهم والأَغْلالَ الَتِى كَانت علَيهِم فَالذِين آمنوا بِهِ وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذِى أنزِلَ معه أولَئِك هم الْمفْلِحونَ الأعراف ١٥٧؛ فكانت الأمى معناه هنا الأصل أى أن نورهم من نوره وهديهم من هديه ﷺ ومن هذا القبيل فإن مكة أم القرى والفاتحة أم الكتاب والرأس أم البدن، وهذا هو المعنى العلى للكلمة. وقد ذكر ذلك الصالحى فى سبل الهدى والرشاد ٥٣٧/١ ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وصاحب القاموس الفيروز بادى والزبيدى صاحب تاج العروس ١١٠/٨ وكتاب جواهر البحار للنبهانى ١١٨/٤. وانظر الترتيب الزمنى للصفات التى ذكرها الله سبحانه وتعالى للنبى ﷺ، الرسول النبى الأمى الرسالة أقربها زمناً إلى نزول القرآن، ثم النبوة وهى أبعد زمناً؛ كما قال المصطفى ﷺ {كنت نبيا وآدم بين الماء والطين} رواه أحمد فى مسنده، ورواه أبو نعيم فى دلائل النبوة، وابن الجوزى فى الوفا، ورواه الترمذى فى صحيحه، ثم الأمية بمعنى الأصل وأول الخلق وهى أبعدهم زمناً؛ أنظر حديث سيدنا جابر ﷺ عندما سأل رسول الله ﷺ: ما أول شيئ خلق يا رسول الله. فقال ﷺ:

نور نبيك يا جابر . رواه عبد الرزاق فى مصنفه -واللفظ له- والبيهقى عن جابر وصححه ابن القطان، وذكره العلماء وعزوه إلى مصنف عبد الرزاق، ومنهم الإمام القسطلانى فى شرح المواهب اللدنية، وابن حجر فى شرح الهمزية، والزرقانى فى المواهب اللدنية، والشيخ رشيد الراشد الخاذنى فى كتابه السيرة المرضية، وذكره العلامة الفاسى فى شرح دلائل الخيرات، والألوسى فى روح المعانى.

ويقول الإمام النيسابورى: ومعنى الأمى أنه أم الموجودات وأصل المكونات كما قال ﷺ: (أول ما خلق الله روحى) وقال حكاية عن الله (لولاك لما خلقت الكون). تفسير النيسابورى. ويقول العلامة الألوسى: فهذا اللفظ بالنسبة إليه بأبى هو وأمى ﷺ صفة مدح وأما بالنسبة إلى غيره فلا. وقالوا: الأمى نسبة إلى الأم، وقيل للنبى ﷺ ذلك لأنه أم الموجودات وأصل المكنونات، واختير هذا اللفظ لما فيه من الإشارة إلى الرحمة والشفقة وهو الذى جاء رحمة للعالمين، وإنه ﷺ لأشفق على الخلق من الأم بولدها إذ له ﷺ الحظ الأوفر من التخلق بأخلاق الله تعالى وهو سبحانه أرحم الراحمين، وذكروا أن أتباعه من حيث النبوة الخواص، ومن حيث الأمية خواص الخواص، ومن حيث الرسالة هؤلاء المذكورون كلهم والعوام، نسأل الله تعالى أن يوفقنا لإتباعه ﷺ فى سائر شؤونه. من روح المعانى للألوسى.

وروى عن يعقوب وغيره أنه قرأ {الأمى} بفتح الهمزة وخرج على أنه نسب إلى المصدر من أم ومعناه المقصود أى لأنّ هذا النبى مقصد للناس وموضع أم. تفسير البحر المحيط.

أما قول البعض أنه ﷺ لم يكن يعرف شيئا قبل جبريل وأنه ﷺ لا يعرف المصحف وهو الذى نزل فيه قول الله تبارك وتعالى لِتبين لِلناس ما نزلَ إِلَيهم النحل ٤٤، فالبيان على النبى ﷺ والتفصيل يأتى به جبريل عليه السلام منه لـه ﷺ، ولا يفهم القرآن مطلقا غير رسول الله ﷺ مصدافا لقوله ﷺ: {ما اتخذ الله وليا جاهلا ولو اتخذه لعلمه}. قال الحافظ ابن حجر ليس بالثابت لكن معناه صحيح. ويقول الإمام العجلونى: المراد بقوله: {ولو اتخذه لعلمه} لو أراد اتخاذه وليا لعلمه ثم اتخذه وليا وقال ابن حجر المكى فى فتاواه: من ثبتت له الولاية ثبتت له العلوم والمعارف فالمراد الجاهل بالعلوم الوهبية والأحوال الخفية لا الجاهل بمبادىء العلوم الظاهرة مما يجب تعلمه فإن هذا لا يكون وليا ولا يراد بالولاية مادام على جهله بذلك.من كشف الخفا ومزيل الالباس للعجلونى ح٢١٨٥.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صلى على محمد النبى الأمى، وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد). أخرجه أبو داوود. وحيث أن هذا موطن ثناء وصلاة فيكون ذكر الأمى فيه مستوجب لأن تكون على المعنى العلى.

وأما من حيث أن لفظة أمى معناها لا يحسن القراءة والكتابة، فإن هذا هو المعنى الدنى، ومع ذلك فإن الحروف كانت تنطق له إذا أمسك بورقه مكتوبة انظر تفسير روح المعانى للألوسى ١٣٧/٣ ط.الأميرية، (جاء عن أهل البيت ﷺ أنه ﷺ كانت تنطق له الحروف المكتوبة إذا نظر فيها).

وبعض الناس يعتقد أن المعنى الدنى للأمى واضح جلى مع أنه لا يوجد مرجع إلا واختلف فيه العلماء على المقصود منه: (هل هو عدم القراءة والكتابة أم عدم وجود كتب سماوية لأهل هذه البلاد بل وقيل منسوب إلى أم القرى)، وإن كانوا أجمعوا جميعا على أن العلم أعطى له ﷺ دون أن يبذل جهدا فى التعلم، وكما قال ابن عجيبة فى تفسيره: وكونه أميا شرف له، إذ الكتابة وسيلة للعلوم، وقد أعطى منها ما لم يعطَ أحد من العالمين، من غير تعب تعلُمِها، ولارتفاع الارتياب فى نبوته ﷺ، فهى من جملة معجزاته. أهـ، وأيضا فى الرسالة القشيرية: أظهر شرف المصطفى ﷺ بقوله: النبِى الأمى أى أنه لم يكن شىء من فضائله وكمال علمه وتهيؤه إلى تفصيل شرعه مِن قِبل نفْسِه، أو

من تعلمه وتكلفه، أو من اجتهاده وتصرفه ... بل ظهر عليه كل ما ظهر مِن قِبله سبحانه. أهـ، وعلى هذا المعنى تكون هذه الصفة -على معناها الدنى- لا تصلح له ﷺ حيث أنه نبى منذ ولادته بل من قبل ذلك.

وبالتالى فإن المعنى الدنى للأمية ينتفى تماما عنه ﷺ، فكيف يمدحه الله سبحانه بأنه النبى الأمى بالمعنى الدنى وقد انتفت عنه هذه الصفة بإعطائه له سبحانه كل العلوم، وقد ذُكر فى حديث صلح الحديبية، وقَالَ فِيهِ: أخذَ رسول الله ﷺ الكِتاب من على فمحى رسول الله وكتب ابن عبد الله، ذكره البخارى ومسلم، وعن الشعبى وبعض السلف: أَن النبى ﷺ لم يمت حتى كَتب. قاله القاضى والباجى، وحكاه عن السمنانى وأبى ذَر وغيره. وذكر القاضى عياض عن معاوية أنه كان يكتب بين يدى النبى ﷺ فقال له: {ألق الدواة وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم}. السيوطى والقرطبى والألوسى والدر المنثور، وقد تهجى النبى ﷺ حين ذكر الدجال فقال: (مكتوب بين عينيه ك ا ف ر) يهجاؤه. الصحيحين ومسلم والحاكم والإمام أحمد والبيهقى وابن حبان والسيوطى والقرطبى وابن عوانة. وإذاً فالقراءة والكتابة ثبتت له وهى أمر أهون ما يكون له ﷺ وقد أعطاه الله من العلوم ما لم يعط أحد من خلقه، ولكن حفظه الله سبحانه وتعالى من أن يكون له معلم من البشر تعظيما له وتفضيلا له على خلقه، فلو تعلم القراءة والكتابة من معلم لصار لمعلمه فضل عليه، ولا ينبغى أن يكون لأحد فضل عليه إلا الله، انظر قوله سبحانه: ﴿ألم يجِدك يتيما فَآوى • ووجدك ضالا فَهدى • ووجدك عائِلا فَأَغْنى﴾ الضحى ٦-٨.

وأيضا لو تعلم النبى ص من قبل أحد غير الله لصارت هناك شبهة أن يكون تعلم القرآن من قراءة الكتب السابقة، يقول تعالى: ﴿وما كُنت تتلُو مِن قَبله مِن كِتاب ولا تخطّه بِيمِينك إِذًا لارتاب الْمبطِلُونَ﴾ العنكبوت ٤٨، أى ما كنت تتلو قبل القرآن من كتاب من الكتب السماوية السابقة ولا تكتبه فيرتاب فى مصدره الكافرون، ولذلك فقد منع الله عليه ذلك وهو عليه هين، وانظر الآية التالية لها: ﴿بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بايتنا إلا الظالمون﴾ العنكبوت ٤٩، والمقصود هنا القرآن وأنه ليس فى صدر النبى فحسب ولكن أيضا فى صدور من هداهم فآتاهم الله العلم، وبالتالى فقد كان النبى ﷺ مأمور بكتمانه مثلما أمره فى القرآن ﴿لا تحرك بِهِ لِسانك لِتعجلَ بِهِ • إِن علينا جمعه وقُرآنه • فَإِذَا قَرأناه فَاتبِع قُرآنه﴾ القيامة ١٦-١٨، والمعنى أن منح العلم الإلهى له ﷺ كان كاملا فكان القرآن عنده ﷺ، ولكنه أمر بألا يقرأه أو يعجل عليه إلا بعد أن يقرأ عليه. وقال الحافظ بن حجر فى تخريج أحاديث الرافعى ان مما حرم عليه ﷺ الخط والشعر وانما يصح التحريم ان قلنا انه كان يحسنهما، والاصح انه كان يحسنهما وكان يميز بين جيد الشعر ورديئه وادعى بعضهم انه صار يعلم الكتابة بعد ان كان لا يعلمها لقوله تعالى من قبله فى الآية، فان عدم معرفته كانت بغرض الاعجاز فلما اشتهر الاسلام وأمن الارتياب ظهرت حينئذ معرفته الكتابة وقد روى ابن أبى شيبة وغيره ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ. ذكره مجالد للشعبى فقال ليس فى الآية ما ينافيه قال ابن دحية واليه ذهب أبو ذر وأبو الفتح النيسابورى والباجى وصنف فيه كتابا، ووافقه عليه بعض علماء افريقية وصقلية وقالوا ان معرفة الكتابة بعد أميته لا تنافى المعجزة بل هى معجزة أخرى بعد معرفة أميته، تاج العروس.

وكما يشرح كتاب الفتوحات المكية هذا اللفظ على معناه الدنى فيقول: فإذا سلم القلب من علم النظر الفكرى شرعاً وعقلاً كان أمياً وكان قابلاً للفتح الإلهى على أكمل ما يكون بسرعة دون بطء ويرزق من العلم اللدنى فى كل شئ ما لا يعرف قدر ذلك إلا نبى أو من ذاقه من الأولياء وبه تكمل درجة الايمان ونشأته. ويزيد العالم الإلهى على غيره بالبصيرة التى نزل القرآن بها فى قوله تعالى: ﴿أدعو إِلَى اللهِ علَى بصِيرةٍ أَنا ومنِ اتبعنِى﴾ يوسف ١٠٨، وهو

تتميم قوله تعالى: بعث فى الأميين رسولاً منهم الجمعة ٢، فهو النبى الأمى الذى يدعو على بصيرة مع أميته والأميون هم الذين يدعون معه إلى الله على بصيرة فهم التابعون له فى الحكم. أهـ.

وأما قوله سبحانه هو الذِى بعثَ فِى الأُميين رسولا مِنهم يتلُو علَيهِم آياتِهِ ويزكيهِم ويعلمهم الكِتاب والْحِكْمةَ الجمعة ٢، فهو ﷺ خرج من هذه الأمة التى على الفطرة بدون كتب أو رسالات سابقة فنسب إليها ﷺ، وكما بينا فإن أتباعه خواص الخواص، يقول سبحانه وكَذَلِك جعلْناكُم أُمةً وسطًا لِتكُونوا شهداءَ علَى الناسِ ويكُونَ الرسولُ علَيكُم شهيدا البقرة ١٤٣، فكيف تصلح الشهادة بغير علم؟ ولذلك يقول عنهم سبحانه: بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بايتنا إلا الظالمون العنكبوت ٤٩، فعلى ذلك يحمل معنى الأميين على ما ذكرنا من كتاب الفتوحات المكية.

وروى ابن المبارك من حديث عقبة بن عامر عن رسول الله ﷺ فى حديث الشفاعة قال: (فيقول عيسى أدلكم على النبى الأمى فيأتونى فيأذن الله لى أن أقوم فيثور مجلسى من أطيب ريح شمها أحد حتى آتى ربى فيشفعنى ويجعل لى نورا من شعر رأسى إلى ظفر قدمى ...) فكيف تكون هذه الصفة على معناها الدنى حتى يوم القيامة، وكيف يشار له ﷺ بذلك فى موطن المدح وموطن رجاء شفاعته، فافهم. تفسير ابن كثير والقرطبى ومسند ابن المبارك والسيوطى والدارمى.

أما أدنى المعانى والذى يصف به الله سبحانه وتعالى الكافرين من أهل الكتاب، هذا المعنى الذى يشير إلى الغفلة والجهالة فى قوله تعالى: ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى البقرة: ٧٨، فهذا المعنى لا يصلح شرعا أن ينسب له ﷺ -حاشاه- إذا تجمع المذاهب على أنه لا تجوز إمامة الأمى لمن غيره، فكيف ينسب ذلك إلى النبى ﷺ وهو إمام الأمة وإمام الأنبياء وإمام المرسلين. أنظر المذهب الشافعى والحنفى وتفسير القرطبى.